وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

التحولات الدينية.. إشكالات للقراءة

هاني نسيرة

مدارك : 2009-06-16

قُرئت مسألة التحول الديني في غالب الأحيان من جانب واحد، وفق منطق الهداية أو الضلالة[1]، مثل ما كتبه البعض عن التحولات أو الهداية إلى الإسلام من الغربيين، أو التحول عنه، بهدف ترويج صورة سيئة عن الدين الآخر ومعتنقيه عبر النماذج المتحولة المتجسدة في حالات التحول الديني.

وقد جرت العادة أن تثير مسألة التحولات الدينية الأقليات الدينية بشكل أكثر، من قبيل ما حدث في الولايات المتحدة مؤخرا؛ حيث أبدت الجالية المسلمة هناك انزعاجها إزاء مؤتمر أقامته أكاديمية القوات الجوية الأمريكية، ضم ثلاثة مسلمين تحولوا للمسيحية (البروتستانتية)، وقد تمت الإشارة إلى أنهم "إرهابيون سابقون"، وهم: وليد شوبياط، والذي عرف نفسه بأنه إرهابي سابق! ولكنه ترك الإسلام وتحول إلى النصرانية، وكمال سليم، وهو قس مسيحي ذكر أنه كان عضوا بمنظمة التحرير الفلسطينية وينقل الأسلحة بين إسرائيل والأراضي الفلسطينية عن طريق الأنفاق، وزكريا عناني، الذي يصف نفسه بأنه إرهابي مسلم سابق، كسابقيه[2].

وهذه النظرة الجزئية تسيطر كذلك على التحولات بين الطوائف الدينية داخل الدين الواحد، وليس فقط بين الأديان ككل، ويمكن القول إن تصاعد الهويات والصحوات الطائفية، ساعدت على انتشار مذاهب الأقليات داخل كل دين بشكل أو بآخر.

ولكن يلاحظ أن هناك ندرة عامة في تناول مسألة التحول الديني بكل أنواعه، وربما كان الأكثر انتشارا من هذه الأنواع في التراث العربي الإسلامي، هو اهتمام بعض أسلافنا بمسألة تحول المذهب، فقد كتب السيوطي –من الأقدمين– (ت 911 هجرية) كتابه"اختلاف المذهب"، كما كتب من المعاصرين مثل السعودي الراحل الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

بحثا عن التحول المذهبي، ضمنه كتابه النظائر، في تراجم المتحولين مذهبيا، وقد بلغ المتحولون مذهبيا –في طبعة الكتاب الثانية– 258 ترجمة من المتحولين بين المذاهب.

كما تصاعد اهتمام عدد من الكتاب الشيعة المعاصرين بمسألة التشيع (التحول للمذهب الشيعي)، فكتبوا تحت عنوان "المتحولون" أو سير المستبصرين، بمعنى المتحولين للتشيع استبصارا، مثل ما كتبه أحد هؤلاء المستبصرين (المتحولين) وهو الشيخ السوري المتشيع هشام آل قطيط[3].

وحسب هذا الكتاب ضعفا ودليلا على اندفاعه الأيديولوجي والمذهبي أنه يضع ضمن المتحولين للتشيع أسماء، هي بعيدة كل البعد عن هذا التحول، فإن صح هذا التحول في أمثال الشيخ حسن شحاته، الذي تحول بتعصب نحو التشيع، فلا شك أنه لا يصح على أمثال الأستاذ فهمي هويدي، والأستاذة صافيناز كاظم، أو كل من دعا للوحدة الإسلامية، أو للتقريب بين المذاهب، وكل من اقترب بدرجة ما من الفكر الشيعي أو تأثر بالثورة الإسلامية، شأن القيادي الإسلامي الراحل الدكتور فتحي الشقاقي، مؤسس حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، الذي تأثر كثيرا بالثورة الإسلامية الإيرانية، وصاحب أول كتاب عربي إسلامي عنها، كما كان لنجاحها تأثيره في انفصاله وخروجه عن عباءة الإخوان المسلمين في فلسطين، الذين أجلوا الخيار الجهادي والمسلح طويلا حتى انتفاضة الأقصى الأولى[4]، وهو ما بدأته حركة الجهاد نفسها فيما بعد.

كما يفتتح المؤلف كتابه بالحديث عن تشيع شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري المتوفى سنة 1916، ورواية صاحب المراجعات عنها دون أن ينظر لنقده ولا لسيرة الرجل وكتبه، التي تنفي مثل هذا التحول، وهو ما لا نظنه يصح كتحول عقدي للتشيع، كما يلح آل قطيط أو يشيع في كتابه[5].

التحول.. بين الهوس والتجريم

ولو وافقنا آل قطيط في عدم ضبطه لمعيار التحول؛ حيث جعل كل متعاطف مع التقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية متشيعا، لقلنا إن ثورة العشرين في العراق التي قادها العلامة الشهيد محمد سعيد الحبوبي (ت 1914) كانت تحولا سنيا، حين أفتت المرجعية الشيعية في

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

النجف حينئذ بالوقوف إلى جانب الأتراك في مواجهة الاحتلال الإنجليزي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وتأكيدها ضرورة اجتماع المسلمين على مواجهة المستعمر والمحتل، فهل كان هذا التوجه لتأييد الخلافة السنية التركية حينئذ، الذي تحفظ عليه بعض متعصبي الشيعة بعد ذلك، تحولا سنيا أم إنه -كما هي النماذج التي صبغها قطيط بالتحول للتشيع- مرحلة تقريبية مهمة يمكن أن يبنى عليها جهد التقريب بين السنة والشيعة الآن؟[6].

كما كتب البعض حول سير بعض المتحولين للإلحاد أو رفض التدين، وعن حالات تحول دينية محددة مثل تحول رينيه جينو أو العارف بالله عبد الواحد يحيى التي كتبها الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق، أو من أرخوا لتحولاتهم بأنفسهم مثل محمد أسد في كتابه "الطريق إلى مكة"، أو مراد هوفمان في كتابه "يوميات ألماني مسلم".

ولكن يغلب على كثير من هذه القراءات -باستثناءات قليلة- منطق التحيز والتفسير الإيماني، وكما يقول الشيخ بكر أبو زيد أثناء تقديمه لنماذج التحول المذهبي "الناس في تكييف هذا التحول طرفان ووسط: فطرف يأخذ هذا لتأييد مذهبه بأن فلانا تحول إليه وهكذا، ولهذا نجد أن إبراهيم بن محمد بن محمود الدهان الحلبي المتوفى سنة 810 هجرية لما تشفع بعد أن كان حنبليا، لقب بالناجي"[7] فهو الناجي لمجرد تحوله في المذهب، فما بالك بمن تحول ديانة!.

كما سخر أهل المذاهب من آخر تحول بين أكثر من مذهب، فسموه "حنفش" حسب الحروف الأولى من المذاهب التي انتمى إليها، فقد كان حنبليا ثم حنفيا ثم شافعيا، وهو محمد بن حمد بن خلف بن أبي بكر المتوفى سنة 532 هجرية[8].

ومزيد من الأمثلة يضربها الشيخ بكر أبو زيد عن التعصب والتحول المذهبي فيقول: "وطرف يمنع التحول ويشدد فيه، وأن من الإثم والجناح الخروج عن جادة المذهب، حتى قال بعضهم: إن المنتقل يعزر، وقال بعضهم: يجوز للشافعي أن يتحنف ولا يجوز العكس"[9].

وينقل لنا ترجمة محمد بن موسى الحنفي قاضي دمشق المتوفى سنة 506 هجرية، الذي يقول الذهبي عنه "كان مبتدعا يقول: لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية"[10]. هكذا بلغ الحد بالتعصب على مسألة التحول المذهبي، في الإسلام كما في غيره، فما بالك بالتحول الديني، الذي هو أكبر أثرا وأعظم خطرا لدى رجال الدين!.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

إن الحقيقة والتاريخ تؤكدان إمكانية التعايش ورعاية التنوع المذهبي داخل المجتمع، بل وأحيانا الأسرة الواحدة، فيذكر لنا الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة سالم بن أبي الجعد: المتوفى سنة 100 هجرية نقلا عن ابن سعد: "وقالوا كان لأبي الجعد: ستة بنين، اثنان شيعيان، واثنان مرجئان، واثنان خارجيان، فكان أبوهم يقول: قد خالف الله بينهم، قلت (أي الذهبي): وهم عبيد وعمران وزياد ومسلم وعبيد الله"[11].

التحول الديني وفقه الغلبة

يغلب على تناولات مسألة التحولات الدينية والطائفية فقه الغلبة والتغالب، وليس فقه التنوع والتعايش، حتى إن أتت بعض الفتاوى المتنورة من قبل بعض الفقهاء شأن ما أفتى به مفتي مصر الشيخ علي جمعة في تصريحات سابقة بجواز تغيير المسلم دينه في تصريحات لجريدة واشنطن بوست سنة 2007[12]، وهو قريب مما رآه الشيخ وهبه الزحيلي، الفقيه السوري المعروف، مؤخرا، بجواز تغيير الديانة وعدم إقامة حد الردة، انطلاقا من الحرية الدينية غير المصطدمة بالنظام العام[13].

نفس التوجه أيضًا ذهب إليه الفقيه المغربي الدكتور الريسوني حول الإشكال الأصولي لهذا الحد؛ حيث يقول: "الإكراه لا ينشئ دينا ولا إيمانا، فإنه كذلك لا ينشئ كفرا ولا ردة، فالمكره على الكفر ليس بكافر، والمكره على الردة ليس بمرتد، وهكذا فالمكره على الإيمان ليس بمؤمن، والمكره على الإسلام ليس بمسلم.

فقضية {لا إِكْراه فِي الدِّينِ} هي قضية كلية محكمة، عامة تامة، سارية على أول الزمان وآخره، سارية على المشرك والكتابي، سارية على الرجال والنساء، سارية قبل الدخول في الإسلام، وبعده، أي سارية في الابتداء وفي الإبقاء، فالدين لا يكون بالإكراه ابتداء، كما لا يكون بالإكراه إبقاء"[14]، يأتي بصيص من الضوء لا يكبس أحد زره ليظل مضيئا في ظل منهج السجال والتغالب السائد، بين الأديان والطوائف على السواء، والتأكيد على أن حرية الاعتقاد عماد الإسلام، كما يقول جمال البنا، وأنه لا حد ولا تعزير فيها، كما يرى[15].

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

هذا فضلا عن غيبة الدراسات حولها وغلبة تناولها على المقالات والآراء السريعة داخل منطق التحيز الإيماني والسجالي في أغلب الأحيان، دون التحيز الموضوعي أو المعرفي، الذي تسعى إليه هذه الدراسة التي بين أيدينا لالتماسه والاعتماد عليه.

فمنطق التحيز الإيماني في تصورنا يحجب القراءة الموضوعية والنقدية لنتاج المتحول أو تأثيره، كما يحجب في أحيان أخرى القراءة النقدية له، ويخفي حقيقة تاريخية لا مجال لإنكارها وهي تاريخية وحضور مسألة التحول ذاتها منذ القدم وأنها ليست مسألة محدثة أو طارئة، بل هي ظاهرة معتادة عبر الزمان والمكان، كما أنها رغم عظم آثارها وتقييم البعض لها، إلا أنها يمكن أن تضيف للوعي الإنساني الكثير من أوجه النقد وإمكانات المراجعة، وكذلك تؤسس لقيم التسامح والتعددية معقولية التنوع والثراء، دون النهج الأحادي والاختزالي في التعاطي مع كل ما يرفضه أو يضاده.

فما أحوجنا لمن يأخذون الدين بالمعرفة لا بالوراثة، كما قال سيد قطب يوما[16]وما أحوجنا أن نسائل مختلف معتقداتنا ومعهوداتنا من آن لآخر في مرآة النقد، وقد قال محمد إقبال يوما: "إن العقيدة التي ترفض الاجتهاد وتأبى المساءلة، لا تستحق أن يعتقد بها أصحابها".. بهذه القدرة على المساءلة تتولد مسافات ومساحات التجديد والتجدد في أي منظومة دينية كانت أو دنيوية.

ولا شك أن مساحة الاعتقاد في أي دين ينبغي أن تملأ؛ لذا كان الدين -أي دين- ضرورة طبيعية لملء البناءات المعنوية للبشر، حتى لو تبلور تصور الدين موقفا ضد الدين ذاته، ومن هنا يمكن فهم وصف أمثال فيورباخ ونيتشه -كما في المعرفة السارة- بالثورة الروحية التي تبشر بمقدم الإنسان السامي أو الديونيزم الذي جاء وصفه في "هكذا تكلم زرادشت".

الانتقادات.. منافع ممكنة

إن التحولات والانتقادات عموما هي مرآة الآخر التي ينبغي أن نرى فيها أنفسنا ومعتقداتنا، وكما يتكشف السلوك الأخلاقي في مرآة الآخرين وتقديرهم له، يتكشف ويتجلى السلوك الاعتقادي والديني في موقف الناس منه، وقد استفادت الكنيسة كثيرا من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

الانتقادات التي وجهت لها في العصور الحديثة، وهو ما يعبر عنه مثل الأب جيوفاني حين قال عن نيتشه أبرز داعية للإلحاد في العصور الحديثة وفائدته غير المباشرة للفكر الديني: "من باب المفارقة أن نيتشه نفسه بقي في دائرة المسيحية يتحدى المسيحيين ويحرضهم على أن يحيوا إيمانهم على وجه أكثر تماسكا، وعلى أن يتحدثوا عن الله حديثا يزداد إحكاما مطردا، من غير أن يجعلوا من عظمته عبارة عزاء فحسب، فقد ساهم أثناء هجومه على الدين في الكشف عن تزويراته وتفسيراته المنحرفة" [17].

وهو شبه ما صرح به يوما الشيخ الأزهري الراحل حسن القاياتي فيما كتبه عبد الله القصيمي في كتابه "هذه هي الأغلال"[18]، الذي كان محطة مرور صاحبه من الأصولية إلى الإلحاد، بعنوان: هل الأغلال في أعناقنا؟؛ حيث وضع القصيمي وسط المصلحين الإسلاميين الكبار: "شكل ابن خلدون طليعة الاشتراكيين، وطليعة معسكر الإصلاح في الشرق، وشكل الأفغاني وعبده والكواكبي جوانبه، أما القصيمي فهو قلبه"[19].

كما رأى العقاد في كتاب القصيمي نقدا مدعما دينيا ومحقا ضد الظروف السيئة في العالم الإسلامي، ويشيد العقاد بشكل خاص بالهجوم الذي شنه القصيمي على التقاليد التي ترفض اكتساب المرأة للمعرفة وتعليمها، ويؤيد العقاد رأي القصمي في انتقاد هؤلاء الذين يرون "أن الزمن يسير نحو الوراء، وأن لا أمل لهم في أن أبناء اليوم وغدا يمكن أن يضيفوا أي شيء إلى إرث السلف، وإنجازات الأجداد"[20].

أما آخرون فيكتفون في مثل هذا السياق فقط باعتبار أي نقد لمعهوداتنا ليس أكثر من مؤامرة خارجية، فما كتبه القصيمي مثلا –حسب أحد ناقديه– ليس سوى رشوة ارتشاها من جهات الدعاية الأجنبية اللادينية في الغرب، التي تريد نشر دعاية مضادة للإسلام[21].

ولم تكن تحولات إسماعيل أدهم الذي أعلن إلحاده سوى صناعة لجمعيات الإلحاد خارج العالم الإسلامي، وليس تحول فرد من دين إلى دين إلا بيعا وشراء لقناعاته، وهو ما قد يصح أحيانا، ولكن لا يصح الامتداد به دائما، فأزمة التفكير التآمري أنه خطاب اكتفائي وتعميمي؛ حيث يكفي أن يقال إن السحرة صناع المؤامرة فعلوا كذا، كما أنه لا يكرس سوى العداء الجماعي وجعله جوهرا ثابتا، وينفي عن الفرد المسئولية، كما ينفي عن الجماعة القدرة على ممانعة المؤامرة؛ حيث يكون خطابا تآمريا بامتياز!.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

إن أوضح تأثيرات التحولات الدينية خاصة –والتحولات عامة– هو استنفارها للعقل نحو التفسير، واستفزاز النخب نحو الحجاج، فكثيرا ما يفتح الآخر الديني بأسئلته وإشكالاته فضاءات جديدة في فضاء الذات، وإلا فكيف نشأت علوم كعلم الكلام أو الثيولوجيا، وكيف نشأت حتى علوم كمقارنة الأديان والفلسفة الدينية وغيرها.

ويمكننا أن نستشهد في هذا السياق بالإنتاج الفكري المتميز الذي أثارته انتقادات وكتابات ابن الراوندي الملحد على مدار قرون من تاريخ الفكر والفلسفة الإسلامية[22] دون أن يكتفي كتابها غالبا بأنهم مؤامرة من ابن لاوي اليهودي، فقد استنفرت كتابات ابن الرواندي –التي وضعها على لسان البراهمة ولسان بعض الفرق– الكثير من ردود الفعل التي لا شك أنها أثرت العقل والجدل الإسلامي في العصر العباسي وبعده واستنفرته للرد بالكثير.

حالات أم دلالات؟

من أهم المقولات المعرفية التي حفظها تراثنا قولة علي بن أبي طالب رضي الله عنه "الحق لا يعرف بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله"، ولعل فهمي العلمي للحديث النبوي الشريف "القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"، أن قلوب البشر وآراء البشر أكثر الأشياء تقلبا ونسبية بين موجودات الكون.

وقد عرفنا شعراء كبارا أنكروا شاعريتهم منهم مثلا عبد القادر المازني الذي ترك الشعر سنة 1959 وتقريره أنه ليس بشاعر، رغم أنه بويع بإمارة الشعر يوما، وكذلك عرفنا كتابا أحرقوا كتبهم، كأبي حيان التوحيدي، وفلاسفة ومتكلمين أنكروا فلسفتهم كالرازي والغزالي والشبلي، ولكن يبقى ما تركوه مقدرا، مفصولا عنهم رغم تنكرهم له.

من هنا يروى أن ابن تيمية قال له رجل في مسألة حكم فيها زفر بن الهذيل[23]بحكم معين، إنه قد حكم فيها بحكم الله، فقال ابن تيمية: لا تقل حكم زفر بحكم الله فإنك لا تدري أأصاب حكم الله أم لم يصبه"، من يمكن أن يتحد قوله بقول الله من بني البشر.

ولا شك أن تجارب التحول يمكن أن تكون مصدر ثراء للأديان، عبر مساءلة مسبباتها، ومعرفة سياقاتها، فإن كان الدافع لها أحيانا هو الفقر والحاجة المادية، فينبغي أن تملأ، وإن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

كانت الحاجة معنوية فينبغي أن تروى، وإن كانت الحاجة نفورا من ممثليها وسلوكياتهم فعليهم أن يضبطوا منها.

ويرى بعض علماء اللاهوت المسيحيين "أن حالة الكنيسة الشرقية التي تدهورت في القرن الأول والثاني الهجري من الناحية الخلقية والروحية، لابد أن تكون قد دفعت كثيرين إلى أن يلتمسوا جوا روحيا أسلم وأوضح في ذلك الدين الإسلامي، الذي جاءهم، وهو في أشد ما تكون الحماسة الغضة قوة"[24]، ويصف أحدهم، وهو دين ملمان Dean Milman، حال المجتمع المسيحي في هذا العصر بقوله: "كانت الأحزاب الدينية يناوئ بعضها بعضا، ورجال الكنيسة يتنازعون فيما بينهم على أشد مسائل الدين إبهاما وأكثرها غموضا"[25].

فهناك أسباب دينية يمكن أن تدفع للتحول الديني، من أهمها خطاب ممثليه، ودوائر الوضوح والسلاسة والسماحة داخله، فلا شك عند كاتب هذا الكتاب أنه أيقن أن العنف والعداء للآخر وتصور الإسلام انقلابا، كما تمثله بعض الجماعات الإسلامية المسلحة والعنفية رمزيا صار منفرا من الدين حقيقة، ولعل أكبر عار نال المسلمين في تاريخهم هي أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حتى صار عليهم أن يتبرءوا منه دائما، فقتل الأبرياء والمدنيين في غير ساحات الحروب خلق لا ديني، كما أن الهيمنة على توجهات الناس وسلوكياتهم كما سعى البعض من الإسلاميين التائبين في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي في شوارع مصر كان منفرا، إن تصور الدين جماعة وأميرا وقتالا مع مخالفيه، كل مخالفيه، لا شك منفر من التصور ككل.

إن منطق الفرقة الناجية الذي يدعي به فريق أنه صواب مطلق، وما سواه خطأ مطلق كذلك، منطق مرفوض، فهو ينفر الناس؛ حيث يضيق عليهم سعة دينهم، وحين يعتبر نفسه دليلا ناريا وتمييزيا نحو طريق الله الرحمن الرحيم[26].

سد المذاهب

وليس أدل على فساد هذا المنطق من هذه الحكاية ما يرويه أحد علماء المسجد الحرام الشيخ محمد سلطان المعصومي الخجندي المكّي، المدرّس بالمسجد الحرام، (ت 1380 هـ) في رسالة له بعنوان: "هدية السلطان إلى مسلمي اليابان"[27]، والتي صدرها برسالة من

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

مسلم ياباني يقول فيها: "وقع هنا اختلاف عظيم ونزاع وخيم، حينما أراد عدة أنفار من متنوري الأفكار من رجال اليابان، أن يدخلوا في دين الإسلام، ويتشرفوا بشرف الإيمان، فعرضوا ذلك على جمعية المسلمين الكائنة في طوكيو، فقال جمع من أهل الهند: ينبغي أن يختاروا مذهب الإمام أبي حنيفة؛ لأنه سراج الأمة، وقال جمع من أهل إندونيسيا (جلوا) يلزم أن يكون شافعيا، فلما سمع اليابانيون كلامهم تعجبوا جدا وتحيروا فيما قصدوا، وصارت مسألة المذاهب سدا في سبيل إسلامهم!"[28].

قبل اللوم على التحولات الموضوعية، التي لم تشتر ولا تباع [29]من دين إلى دين، فنحن ضد كل ما يشترى ويباع في مسائل الاعتقادات والمبادئ، لابد أن يسأل رجال الدين –أي دين– أنفسهم عن أسباب التحول، ومبرراته، والأزمة الكامنة في خطابهم وممارساتهم؟ وإلى أي حد ينبغي أن تكون دعوة تجديد الخطاب الديني وتجدده حقيقة واقعة وناصعة، قبل أن تكون مجرد دعوى يتشدق بها البعض ويتهمها البعض الآخر فقط، فالجدة والتجدد هي القوة والجاذبية لأي دين، وقد أحسن هرقل تفسير انتشار الإسلام وقوته في العهد الأول، حين قال –كما روى الطبري–: إن دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم"[30].

إن التعصب سلاح الضعيف العاجز، وحين يظن متعصب للدين أن مناقشة مسألة التحول عنه أو إليه مناقشة علمية وموضوعية، أو مجرد طرحها للنقاش مسألة غير مقبولة، فإنما يلبس الدين ضعفه وعجزه ليس إلا.

من حق أي منا أن يهتز حين يفارقه صديقه أو يفارقه نصيره، أما الأديان فلا شك أنها ليست بهذا الضعف والعجز؛ حيث تهتز بحادث اختيار فردي، اختاره صاحبه طوعا أو كرها، فهي موجودة منذ القدم تتحدى الزمن وتتحدى مقولة الزوال، وتصفح مشهد كالمشهد العراقي بما يضمه من أديان أو البحث في تاريخ أديان كالهندوسية والكونفوشيوسية، أو تحولات ديانة كاليهودية أو المسيحية أو الإسلام في التاريخ وصراعها معه انتصارا وتراجعا، وتقلباتها معه قياما وقعودا، يؤكد أن الأديان والأفكار الكبرى لا تهتز كثيرا بحوادث أفراد منها، سواء تحولوا عنها أو انحرفوا عن منهجها، ففي هذا تعميم لا يصح، ولكن تبقى حوادث الأفراد دالة فقط في مسارات الأفراد أنفسهم فقط.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

الموضوعية واتساع الرؤية، والاعتماد على النماذج والحالات، دون الانطباعات والإشاعات، هو السبيل والمنهج الأمثل لخوض هذه المسألة الشائكة، التي يستثار بها قوم غضبا ويطير بها آخرون فرحا، وتستقر حوادثها في وعي الناس استنفارا، وفي مضمار العقائد انهزاما وانتصارا! داعين فيه ظاهرة التحول من لفافات التعصب ونيران العنف، ووضعها على بساط البحث، فهي ظاهرة تاريخية قديمة وأصيلة في التراثين الإسلامي والمسيحي، بل والإنساني بعموم، وليست نشازا وشذوذا تاريخيا يظن أن الإتيان به فجاجة غير متوقعة، كما أنها ينبغي أن تقرأ في سياقاتها كحالة وليست -دائما- كدلالة، كما أنها ظاهرة فوارة بالأسئلة والتساؤلات، وليست سيالة بالإجابات التي يضعها المهللون لها أو الناقمون عليها.

كاتب مصري ومدير البحوث بمركز المسبار للدراسات

[1] هناك دراسات اهتمت بالتحول الفكري نذكر منها أطروحتنا للماجستير بعنوان: "ظاهرة التحولات الفكرية نحو التوجه الإسلامي في مصر في النصف الثاني من القرن العشرين" جامعة القاهرة سنة 2007، وكذلك دراسة الباحث الألماني يورجن فازلا حول تحولات عبد الله القصيمي (1907-1996)، والتي صدرت طبعتها العربية بعنوان" القصيمي بين الأصولية والانشقاق"، وترجمها محمود كبيبو، عن دار الكنوز الأدبية سنة 2001.

[2] نقلا عن وكالة أنباء أمريكا إن أرابيك في 4 مارس سنة 2009، وموقع العربية نت في التاريخ نفسه.

[3] كما أن هناك عددا من الكتب الأخرى التي ترجم فيه كتابها لتحولات من السنة إلى الشيعة شأن أمين بن داود الأنطاكي الذي كتب كتابا بعنوان "لماذا اخترت مذهب الشيعة"، لمؤلف يدعى محمد مرعي الأمين الأنطاكي، الذي يذكر فيه أنه كان شافعيا سنيا ثم تحول شيعيا، ويراه البعض كتابا منحولا على مؤلف مجهول، ويقول بكر أبو زيد" بل مكذوب اختلقه رافضي ليروج مذهب الشيعة" النظائر، مصدر سابق مذكور، ص 89.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

[4] يمكن مراجعة سيرة فتحي الشقاقي في د. رفعت سيد أحمد، رحلة الدم الذي هزم السيف، ط1 مركز يافا للدراسات القاهرة سنة 1997، وحول حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، يمكن مراجعة كتاب المسبار الشهري حركة الجهاد الإسلامي، عدد 27 مركز المسبار للدراسات والبحوث- دبي مارس سنة 2009.

[5]راجع كتاب هشام آل قطيط، المتحولون، على الرابط التالي:

http://www.14masom.com/maktabat/maktabaakaed/book46/index.htm

[6] حول ثورة العشرين وغيرها يمكن مراجعة كتاب علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد سنة 1973 جـ 3، ص 125.

[7] بكر أبو زيد، النظائر، ص 72.

[8] المصدر السابق ص 111.

[9] المصدر السابق ص 72.

[10] المصدر السابق ص 72.

[11] الذهبي، سير أعلام النبلاء، (109/5)

[12] جريدة المصري اليوم ووكالة الأنباء الفرنسية في 24 يوليو سنة 2007، والعربية نت في 27 يوليو سنة 2007.

[13] د. وهبه الزحيلي، للكافر حق الحياة، حوار أجراه وحيد تاجا، موقع مدارك- شبكة إسلام أونلاينفي5-4-2009علىالرابطالتالي:

http://mdarik.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1237705689970&pagename=Zone-Arabic-MDarik%2FMDALayout&ref=body

[14] د أحمد الريسوني، حد الردة والإشكال الأصولي، موقع إسلام أون لاين في 29 أغسطس سنة 2007.

[15] من حوا مع جريدة اليوم السابع بتاريخ 23 نوفمبر سنة 2008.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

[16] ذكر سيد قطب هذه العبارةفي تقديمه لكتاب أبي الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، يمكن مراجعته في طبعته العربية الأولى سنة 1954، بعد زيارة صاحبه الأولى لمصر سنة 1951.

[17] راجع الأب جيوفاني مارتينتي، دواعي الإيمان في عصرنا، ترجمة الأب يوسف قوشاقجي، سلسلة دراسات لاهوتية، دار المشرق بيروت سنة 1997 ص 111.

[18] عبد الله القصيمي، هذه هي الأغلال، ط منشورات الجمل، كولونيا ألمانيا سنة 2000.

[19] حسن القاياتي، هل الأغلال في أعناقنا، مجلة المقتطف، عدد فبراير سنة 1947 ص 151.

[20] عباس محمود العقاد، هذه هي الأغلال، مجلة الرسالة، القاهرة السنة الرابعة عشرة، العدد 695 في 1948/10/28 ص 1183.

[21] راجع نموذجا لذلك في عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تنزيه الدين ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، القاهرة سنة 1366 هجرية ص 5.

[22] يمكن أنيراجع في ذلك عبد الأمير الأعسم، ابن الريوندي في المراجع العربية الحديثة، المجلد الأول، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1 سنة 1987.

[23] هو زفر بن الهذيل رحمه الله بن قيس بن مكمل بن ذهل بن ذؤيب بن جذيمة بن عمر، صاحب أبي حنيفة، وكان مقدما في القياس، يمكن مراجعة ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي.

[24] راجع توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، ترجمة د حسن إبراهيم حسن، د عبد المجيد عابدين، وإسماعيل النجراوي ط مكتبة النهضة المصرية سنة،1971، ص 88 وما بعدها.

[25] نفس المصدر السابق.

[26] هناك رسالة مهمة ظني لم تنل حظها من الانتشار في مصر، وهي رسالة عمان التي صدرت بتوقيع عدد من علماء ووجهاء المسلمين سنة 2005 وضمت شيخ الأزهر، والمفتي

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

المصري، والشيخ القرضاوي، ونائب المرشد الإيراني آية الله تسخيري، وإمام الإباضية، وغيرهم اجتمعوا في العاصمة الأردنية، وأكدوا ذلك في رسالتهم، والتي كانت موجهة لرفض منطق الفرقة الناجية من أساسه، حين اعتبرت كل هؤلاء مسلمين وأن كلمة إسلام تجمعهم، يمكن مراجعتها على موقع رسالة عمان على الرابط التالي: /http://www.ammanmessage.com

[27] محمد سلطان المعصومي، هدية السلطان إلى مسلمي اليابان، هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين من المذاهب الأربعة، جمعية إحياء التراث الإسلامي بدون تاريخ، وقد فجرت هذه الرسالة معركة مشهورة في الأدبيات السلفية عرفت بمعركة المذهبية واللامذهبية حمل لواءها كل من المحدث الراحل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وتلامذته ومريديه مثل محمد مهدي الإستانبولي وإبراهيم شقرا من جانب والشيخ الدكتور سعيد رمضان البوطي من جانب آخر.

[28] رسالة المعصومي الخجندي، المصدر السابق، ص 4.

[29] نقصد بالتحولات الموضوعية تلك التحولات التي تمت عن قناعة واقتناع، غير هادفة لمنصب أو جاه أو متعة أو بدوافع منطقية وإيمانية؛ حيث يمكن الحديث عن مسارات للتحول وليس مجرد قرارات فوقية أو ظاهرة لصاحبه.

[30] الطبري، التاريخ، المجلد الأول، ص 2103.

This file was downloaded from QuranicThought.com